Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وما عشت من بعد الأحبة سلوة ولكننى للنائبات حمـــــــول

فيأخذ طه حسين فى الإفاضة فى فك شفرة هذه الأبيات التى يتراءى من خلفها السأم والشجن والطموح المحبط للشخص والأمة معاً ، وينتهى من ذلك إلى قوله : « كل ما أفهمه من هذه الأبيات الثلاثة الحزينة التى يبدأ بها المتنبى قصيدته ، وما يعنينى أن يكون المتنبى قد أراد هذا أو لم يرده ، فأنا لا أطلب من الشاعر أن يفهمنى ما أراد حقا ، وإنما أريد من الشاعر البارع كما أريد من الموسيقى الماهر أن يفتح لى أبوابا من الحس والشعور ومن التفكير والخيال . وما أشك فى أن المتنبى قد وفق لهذا التوفيق كله فى هذه الأبيات »(٢٧) .

ولنتجاوز عما فى هذا المشهد من غلبه ساحقة لضمير المتكلم فى عملية النقد أيضا ، فلهذا دلالته التى استصفاها واستخلصها بعض الباحثين النقاد مؤخرا (٢٨) ، ولنتوقف عند إلغائه لأهمية القصد الواعى فى الرسالة الشعرية ، وتركيزه على شرح مستويات الدلالة وآليات إنتاجها وتلقيها مما يدخل فى الهرمينوطيقا الحديثة ، وكان طه حسين بحكم تكوينه الفقهى والسلفى فى التراث الإسلامى مهيأ بطبيعة مزاجه لهذا اللون من الفهم المحدث ، ثم نجده يربط هذا النوع من الأداء الشعرى بأقرب الفنون إلى تحقيق وظيفة الغناء الصافى المبهم وهو الموسيقى ، مما يرتبط بتقاليد المدرسة الرومانسية الألمانية خاصة فى نقد الشعر ، لكنه يمضى بعيدا فى البحث عن غنائية الشعر والإعجاب الحار بلحظات تحققها مما يضعه بشكل موثق فى دائرة النقاد الذين يعتمدون على جماليات التلقى .

٢ - ٣ ويعود طه حسين لممارسة نفس هذا التأويل الخصب فى فهمه لأبيات المتنبى الغزلية الشهيرة عن تفضيله للأعرابيات والتى قالها فى مصر ، فيرى أنها نوع من الرمز والإيماء « قد أعجب به الناس منذ زمن بعيد ، ولكنهم فهموه على وجهه الظاهر القريب ، وأذهب فى فهمه أنا مذهبا آخر. فأرى فيه حنيناً إلى حياته فى الشام ، حيث البداوة أغلب من الحضارة ، وحيث البأس أظهر من اللين .. وكأن الشاعر قد ضاق بهذه النعمة الهادئة ، وهذا الخفض الآمن فى مصر ، وشاقه صليل السيوف الجياد . ولكنه لم يستطع أن يجهر بما يجد من ذلك ، فاتخذ الأعرابيات كناية عنه ورمزا له ، كما اتخذ الحضريات كناية عما